البرجوازية المدينية، في التعاون مع بريطانيا. ولذا لم يكن من الصدفة أن يقف الحاج أمين الحسيني، ضد الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، ويراهن على ظفر دول المحور، في حين وقف أعضاء اللجنة العربية العليا، كلهم، مع هذا الكتاب الذي حمل إشارات غامضة حول احتمالات تبدل لصالح العرب، في السياسة البريطانية، أملتها حاجاتها لتهدئة العرب، حين كان الخطر الرئيسي عليها متمثلاً بقوة المانيا. ولم تلبث أن تجاهلتها، بعد أن انحسر الخطر الألماني عن الصحراء العربية.

لقد بقيت الحركة الوطنية الفلسطينية أسيرة تناقض مواقفها وتبلبلها، بين رفضها الكامل والمشروع للمطالب الصهيونية، ورغبتها في التعاون مع بريطانيا. وكان هذا التناقض قابلاً للتجاوز، حين كان خطر الصهيونية مجرد مشروع وادعاءات يدور الحديث حولها، لكنه أخذ يشتد، مع تضخم حجم الوجود الملموس للصهيونية على أرض فلسطين، ومع تحسس صغار ملاك الأرض، وحرفيي وتجار وصناعيي المدن، وجمهور العاملين المرتبطين بهم، لتأثيره على مصادر رزقهم، إنهم الذين يشكلون آخر الأمر، جمهور الحركة الوطنية وأداتها لأي مواجهة. وهذا ماكان من شأنه أن يدفع الأمور دفعاً، نحو الاصطدام مع الوجود الصهيوني ومع الوجود البريطاني، حتى ولو لم تشأ قيادة الحركة الوطنية التورط في الصدامات، وأخذت حركة هذا الدفع تشتد، مع بروز التحقق العياني لمخاطر الوجود الصهيوني، بمضي السنين.

مظاهر الخطر الصّهيوني

اتخذ الخطر الصهيوني أول ما بدأ يتضح، أمام الفلسطينيين العرب، مظهراً سياسياً، تمثل في مطلب إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وكان، بمظهره العام هذا، مرفوضاً من العرب، ولم تُجْدِ التطمينات البريطانية المتلاحقة، ولا التأكيدات التي انصبت، على أن إقامة الوطن القومي اليهودي لن تضر بالمصالح الدينية والمدنية لسكان فلسطين، في ثني العرب الفلسطينيين عن رفضه. بل ان تلك التطمينات، ذاتها، كانت تحمل، في طياتها، نُذُر الخطر. فالوثائق البريطانية، كافة، التي استهدفت استرضاء العرب، تحدثت، فقط، عن ضمانات للحقوق والمصالح الدينية والمدنية، لأهالي فلسطين من غير اليهود، وغاب عنها أي حديث عن الحقوق السياسية. بينما كانت طموحات العرب المشارقة، وبضمنهم الفلسطينيون، وكذلك مجهوداتهم التي اتصلت، منذ اشتراكهم في الحرب ضد الدولة العثمانية، تضع، كما رأينا، مطلب استقلال بلدان المشرق العربي ووحدته في المحل الأول من الاهتمام. ويمكن القول، على هذا الأساس، ان السبب الأول لرفض مشروع الوطن القومي اليهودي، تمثل في تعارضه مع المطلب العربي، في الاستقلال والوحدة. دلّ على ذلك انطلاق الاحتجاجات الأولى، ضد المشروع الصهيوني، في المؤتمرات التي حضرها ممثلو الحركة العربية القومية في دمشق، وليس من ممثلي فلسطين وحدها، واقتران المطالبة بالتخلي عن المشروع، بالمطالبة باستقلال البلدان العربية ووحدتها.

أما أول مظهر ملموس، للخطر الصهيوني العام، اتصل بفلسطين خاصة، فهو